شهرية الفلسفة

CHRONIQUES PHILOSOPHIQUES

DIDIER ANZIEU

المؤتمرات والمحاضرات

كلية جان وال الفلسفية Le Collège philosophique de Jean Wahl

إن انحطاط التعليم الفلسفى فى الجامعة الفرنسية ، وانتشار الثقافة الفلسفية فى غير الأوساط الجامعية ، هما العاملان اللذان يفسران ما صادفته كلية جان وال الفلسفية من نجاح بلغ حد الدهشة فى النصف الأول من سنة ١٩٤٧ . وكان الاقبال عظيما على المحاضرات التى كانت تلقى واحدة منها كل ليلة . وكان الجمهور مزاجا من الأدباء والصحفيين ورجال المسرح ، إلى جانب الأساتذة والطلاب . وكان الجميع يسعون للاستماع إلى بعض أساطين العلم أمثال لويس دى بروى العالم الطبيعى والدكتور لاكان ، وإلى بعض المشتغلين بالنقد الفنى والأدبى ، وإلى فريق من القصصيين والشعراء ، وإلى بعض فلاسفة سويسرا وهولندا وبلجيكا ، وإلى كل ذلك النفر من المفكرين الفرنسيين الذين يتميزون برأى مبتكر شخصى أمثال : يانكيليفتش ونظريته فى البشر ، ورولان كايوا فى التاريخ ، وليفيناس فى الزمان ، وكوارى فى اللاهوت ، وجرفتش فى علم الاجتماع وباشلار فى التخيل ، وبرديافف فى الدين والشيوعية الخ . أما جامعة السوربون القديمة فهى دائما مقيمة على دراسة المؤلفين المدرسيين الغلاة على ما فى هذه الدراسة من ملل . وهى دائما آخذة بطرق التعليم غير الشخصى على ما فى هذه الطرق من عقم . لذلك لا نراها تشترك فى ذلك الحشد اللامع من المحاضرين إلا بنصيب ضئيل . وعند ما تصبح الجامعة منظمة مغلقة منفصلة عن العالم الراهن ، ترى الفلسفة وهى المنظمة التى لا تغلق أبدا تذيع وتثمر فى مكان آخر .

والأستاذ جان وال الذى اضطرته الحرب إلى الهجرة إلى الولايات المتحدة ، هو الفيلسوف الوجودى الوحيد الذى يتمتع بكرسى فى كلية الآداب بباريس ، وقد قدم كليته الفلسفية بهذه العبارات : « إن أوربا والغرب كله والعالم بأسره ، بعد تلك الفترة المروعة يبحثون بين عدة أشياء أخرى عن مدى ما بلغ إليه الفكر وما وصلت إليه الفلسفة . ولم يسبق أن اتجهت الأنظار إلى باريس كما تتجه إليها اليوم . فلابد أن

* هذا المقال كتب خاصة لمجلة « الكاتب المصرى » .

تكون باريس جديرة بما يرجى وينتظر منها. وعند عودتى من أمريكا خطر لى أن أنشئ فى باريس مركزاً قوميا ودوليا للفلسفة الحية حيث تمثل الاتجاهات المتنوعة ، من فلسفة مدرسية وفلسفة برجسونية، وماركسية، وفلسفة الوجود ، وفلسفة ويتهد ، وتمثل فيه أيضاً ، إذا أمكن إن لم يكن حالا فقيما بعد ، الوضعية المنطقية وعلم النفس الشكلى والتحليل النفسانى . . . والواقع أن هناك قلقاً فلسفيا ، لم تكن الحرب مصدره ، بل كان موجوداً من قبل ، إلا أنه أحس بنفسه بوضوح أقوى ... وسواء أتحققنا من ذلك أم لم نتحقق ، فنحن نجتاز ثورة فكرية بلغت أشدها . . . ومن واجب الفيلسوف اليوم ، وقد لمس هذه الثورة ، أن يتعرف إلى ما هو أبدى فى الفلسفية . . . فكلية ، وحشد مواهب متنوعة ، وجوقة ذات أصوات عدة ، يتولد من نغماتها المتفرقة الملموسة ، توافق يصعب لمسه . تلك هى هذه « الجامعة » إذا نمت واتسعت كما نشاء لها النمو والاتساع .

ولابد أن نقول إن التوافق لم يوجد بعد ، ولم نحس بأية وحدة، والعقل البشرى فى حاجة إلى نظام ونقط ثابتة ، والمحاضرات كانت تتوالى دون أن يكون بينها رابط . حتى إن المستمعين المواظبين كل المواظبة بدءوا يتفرقون بعد أن هبطت حماستهم ، وانقطع عن الحضور غير واحد منهم وقد أحسوا بحاجتهم إلى أن يخلوا إلى أنفسهم ويخلدوا إلى التأمل . وقد سافر الأستاذ وال فى الاجازة السنوية الكبرى إلى أمريكا اعتقاداً منه أن القوم هناك يحسنون فهمه . فلم تفتح الكلية أبوابها فى أكتوبر ، وهكذا لم يتحقق النظام الفلسفى الذى كان عصرنا يترقبه .

وقد حاضر بين من حاضر فى ذلك الحشد رجال ثلاثة خليقون بالذكر ، هم : ريمون آرون ، وفردينان الكيى ، وموريس مرلو بونتى .

وكان الأستاذ آرون عند ما ألقى محاضرته ما زال يعمل بعد فى جريدة « كومبا » محرراً للمقالات الأفتتاحية . وكانت محاضرته تدور حول استحالة الاتفاق بين الوجودية والماركسية . فهو يرى أنه لا يوجد بالفعل أية نقطة اتصال بين رأى فى الوجود هو رأى شخصى بحت و بين مذهب فى العمل هو مذهب جمعى مشترك . وقد تستطيع الثورة أن توجد حلا للمشاكل الاجتماعية ، ولكنها عاجزة عن حل مشكلة نفسية كامنة فيما وراء العقل . إن الثورة نقيض كل قلق شخصى ولو كان غير دينى . وإن الوجودية تأبى أن تسلك سبيل التقدم الاجتماعى إلا إذا كان ذلك من أجل الحرية الفردية وبوساطتها . وهى لا تعير الآلة قدراً بل تقيم وزناً للقلق ولاختيار نوع الحياة وللموت. ويضيف الأستاذ آرون إلى ذلك الاعتبار الأول اعتبارا آخر ، وهو أن الحوار الدائر بين الوجوديين والماركسيين ، مع تنافيه التام ، لا يتجاوز ميدان الميتافيزيقا إطلاقا ، غير متعلق بالناحية العملية الراهنة للحياة السياسية . فبدلا من مناقشة الأسباب التى تدعو إلى تغيير النظام الاقتصادى فى المجتمع يحسن بنا أن ندرس خير الوسائل التى تحدث بها تغييرات مجدية فعالة ، وأن نعيد النظر مثلا فيما أصدرنا من حكم على الرأسمالية .

أما فردينان ألكيى فهو من زعماء حركة السيريالزم ، وقد أضحى مدرساً للحكمة وفيلسوفاً له نظرياته فيها ، وقد أوضح فى محاضرته أن نمو حركتى الوجودية والسيريالزم دليل على ما فى عصرنا من متناقضات . كانت الفلسفة المدرسية تنظر

إلى الانسان نظرتها إلى عالمين : عالم الجسد والميول ، وعالم النفس أو الروح أو العقل ، وكانت تغض الطرف عن الأول لتستقر فى العالم الآخر ، مخولة له السلطة على كل شئ . وهى لذلك كانت ترسم طريقاً بسيطا ومستقيما يسهل إدراكه ؛ ولم تكن تواجه من المصاعب إلا المصاعب العملية ، وذلك عند ما يأبى الجسد أن يخضع بتلك السهولة التى أرادتها له الروح . أما الفلسفة الحديثة أى فلسفة بريتون (السيريالزم) أو فلسفة سارتر (الوجودية) ، فهى تريد ألا تترك شيئا يفقد من الانسان بأجمعه . فاللاشعور والتخيل والميول والغرائز ترفع كلها إلى مرتبة الفلسفة . إن الوجودية والسيريالزم مذهبان إنسانيان أى من المذاهب التى لاتعتبر غير الانسان موجودا وهو شئ واحد لا يتبدل . ولكن الانسان لا يستطيع أن يحقق كل الممكنات الكامنة فيه . ويرجع ما صادفته الفلسفتان من إخفاق إلى عجز كلتيهما عن حماية كيان الانسان الحسى فى جملته . فالأمر يكاد ينتهى بهما دائما إلى التساؤل عما يختاران بين الثورة والحب . فالحياة الخاصة والحياة العامة قد أصبحتا نزعتين متخاصمين .

وقد حاول الأستاذ مرلو بونتى بالفعل أن يجد حلا لهذا التباين فى العالم الحديث الذى يرى الأستاذ ألكيى أنه تباين مصطنع . وقد ألقى عدة محاضرات عن الحرية ، أعلن فيها عن حدث فلسفى هام ، قال إن وجودية سارتر لم تكن إلا وجودية سلبية ، وسوف تصبح إيجابية مع الأستاذ مرلو بونتى أى مع سارتر مقبل ، سارتر من طراز آخر . إن وجوه التناقض بين الحياة الخاصة والحياة الجماعية ، هى نتيجة الجمع بين وجهتى نظر مختلفتين فى الانسان ، الأولى هى الشعور بالذات والثانية هى الشعور بالغير ، أى بين وجهة النظر الداخلية ووجهة النظر الخارجية . فاذا عارضنا بين هاتين الوجهتين كما هى الحال بين الوجود والعدم ، أصبحت العلاقات بين البشر قائمة على أساس من القتال وعدم الاكتراث ، وأضحى الحب فى المرء هو الرغبة المستبدة الملحة فى أن يحبه الغير ، واعتبر الفرد شيئاً بين الأشياء . أما إذا ذهبنا مع الأستاذ مرلو بونتى إلى إيجاد الانسجام بين هاتين الوجهتين بحيث تكمل إحداهما الأخرى ، وذلك بأن يكون بين الخارج والداخل اتصال بفضل مايحدث فى الداخل من نشاط—إذا سعينا إلى ذلك ، كان للحرية معنى وكان لها حياة ، وأصبح الحب هو التعاقد المتبادل بين إرادتين على إرادة المشروعات نفسها ، فيصبح المجتمع وقتئذ إرادة مشتركة ، فيريد كل فرد حرية الغير ، ويصبح المحتمع نداء وحوارا ، ومشروعا بشريا . يسمى الأستاذ مرلو بونتى هذه الظاهرة ظاهرة «اتحاد الذاتية» intersubjectivité أى إن الانسان لا وجود له وحده ، وأن الغير هو جزء من الحيز الذى يكون ذاتيا أليس مصدر الأخطاء البشرية كلها هو انطواء الانسان على نفسه ؟

ما هو علم السينما Filmologie

عقد أول مؤتمر دولى للفيلمولوجى فى باريس من ١٥ حتى ١٩ سبتمبر سنة ١٩٤٧ وعرف علماء النفس وعلماء الجمال فى العالم كله بعلم جديد هو علم . السينما وقد نظمت

هذا المؤتمر الجمعية الناشئة باسم « الجمعية الفرنسية للبحث السينمائى » . وقد سبق هذا المؤتمر صدور « المجلة الدولية لعلم السينما » وانتهى المؤتمر بأن قرر إنشاء مكتب دولى يكون مقره المؤقت باريس ، ويرأسه ثلاثة علماء هم مسيو جونست من سويسرا ومسيو ميشوت فان ديربيك من بلجيكاومسيو والون من فرنسا . وهكذا تغدو السينما موضوع بحث تكتب فيه الرسائل ويحصل فيه على شهادات وتمنح عنه مكافآت مالية ، وسوف تنشأ كراسى فى علم السينما فى الكليات . وقد بدأ من الآن بعض الطلاب والمدرسين بحوثهم . لم هذا الاهتمام المفاجئ بالسينما ؟ ذلك لأن هذا الفن الشعبى ذا الأثر الفعلى يرشدنا عن الانسان .

كان المؤتمر منقسما إلى خمس شعب . أما الشعبة الأولى وهى شعبة البحوث التجريبية فقد واجهت مسائل ثلاث : ما هى النتائج الفيزويولوجية والسيكولوجية لرؤية حركات تتم غالباً عل عمق فوق شاشة ثابتة ؟

هل فى رؤية الصور الشريطية وحدات من الزمن والقياس كوحدات الايقاع والوزن ، والتتابع والتوقيت ، خاصة بالسينما وقد تتغير بتغير السن والثقافة والحضارة ؟ هل شروط العرض السينمائى وبالأخص ظلمة القاعة ، توجد فى الجمهور استعدادات وميولا غير التى توجدها المناظر الأخرى ؛ أما الشعبة الثانية وهى شعبة تطور الناحية التجريبية فى السينما فقد درست تاريخ المخترعات السينمائية وتاريخ وسائلها الفنية : الفيلم الصامت والناطق والملون ، والحيل السينمائية الخ ، فى حين أن الشعبة الثالثة توفرت على مشاكل تتعلق بالفلسفة العامة وبعلمى الجمال والاجتماع : ما هو التكوين الخاص بالصورة الشريطية والعالم الشريطى ؟ ما هى ضروب الجمال فى الشريط ؟ السينما كأثر من آثار الحضارة ؛ وظيفتها الاجتماعية ، أثر المجموع فيها . أما الشعبة الرابعة وهى شعبة الدراسات المقارنة فقد أنشأت قواعد صرف ونحو ومفردات خاصة باللغة السينمائية ودرست الفصاحة والسرد القصصى ، والمنظر التمثيلى فى السينما ، كما درست علم الصور المنقوشة فى السينما ، والأسطورة السينمائية . والشعبة الأخيرة وهى الخاصة بالبحوث التنظيمية توفرت على دراسة تأثير السينما فى كشف أسباب المرض وعلاجه ، ودراسة أثر السينما التربوى ، كما وضعت خطة لتنظيم الصناعة السينمائية .

أين وحدة علم السينما فى كل ذلك ؟ نجدها فى كتاب المسيو جيلبير كوهين سيا وهو الذى أنشأ ذلك العلم وابتكر له إسمه . والكتاب لم يظهر إلا الجزء الأول منه وعنوانه : « رسالة فى مبادئ فلسفة سينمائية » . ومسيو كوهين سيا من الذين اشتغلوا بالسينما وهو فى الوقت نفسه فيلسوف ، وهو يثير المسألة العامة وهى : هل الانسان اليوم يختلف عنه قبل عصر السينما ؟ إن هذا الفن السابع ينتج الجمال بطريقة آلية خاصة به ، وهو بانتشاره انتشارا يكاد يكون عالميا ، يوحد بين مختلف الجماهير . فغاية علم السينما المزدوجة هى أن يدرس تلك الطريقة الآلية وهذه الوحدة ، أى أن يقدم بوساطة مذهب إنسانى جديد هدفا جديدا ووسائل تحقيق ذلك الهدف .

وأول مبدأ فى الفيلمولوجية أو علم السينما هو التمييز بين الظاهرة الفيلمية أو الشريطية ، والظاهرة السينمائية أو الحركية . فالظاهرة الأولى تهدف إلى « التعبير عن الحياة ، حياة العالم أو حياة العقل والتخيل ، أو حياة الكائنات

والأشياء ، بوساطة صور مجموعة حسب نظام معين (صور منظورة : طبيعية أو اصطلاحية وسمعية : صوتية أو ناطقة) » فاذا أخذنا بوجهة النظر تلك تكون السينما هى « نوع الصور ومضمونها ووسائلها » ، وتكون دراستها فنية وجمالية . ومن ناحية أخرى « يكون من خصائص الظاهرة السينمائية أن تنشر فى الجماعات البشرية شيئا من الوثائق والاحساسات والأفكار والعواطف وهى مواد تقدمها لنا الحياة ويشكلها الفيلم حسب طريقته » ومن هنا تكون السينما ظاهرة عالمية تابعة لعلم الاجتماع .

والمبدأ الثانى فى علم السينما أنه يتخذ صورة موضوعه أى إنه بحث جمعى . « يجب أن نعتبر اليوم أن رجلا واحدا لا يستطيع أن يقوم بمفرده بدراسة السينما دراسة عميقة لا لأن المسائل التى تثيرها متنوعة كل التنوع ، وأنها تتطلب فى غالب الأحيان تخصصا كليا ، وأنها بالحرى ذات أهمية واحدة فحسب ، بل لأن العمل فيها يستغرق وقتا طويلا إلى درجة أنه حتى قبل إنجازه ، قد يعاد مرة ثانية بحكم الوسائل الفنية التى تتطور تطورا متصلا عجيبا . . . ويبدو جليا أن كل مشروع منظم يظل خاضعا لتحقيق أولى عميق شاق ، كما يبدو جليا أنه لابد من اجتياز هذه الفترة من الفوضى الظاهرة والخصوبة الواقعة حيث تدرس كل فكرة وتمحص على حدة . » ومثل ذلك التحقيق هو الذى شرع فيه المؤتمر الدولى الأول للفيلمولوجيا .

إنشاء اتحاد دولى للعلاج النفسانى

وقبل عقد المؤتمر السابق بعام عقد مؤتمر آخر كانت له هذه الرسالة نفسها وهى العالمية . ذلك هو مؤتمر علم النفس العملى الذى عقد فى مدينة زوريخ من السادس حتى العاشر من شهر سبتمبر من عام ١٩٤٦ . وكانت النتيجة الملموسة هى الموافقة بالاجماع على إنشاء اتحاد دولى للعلاج النفسانى . ويتضمن هذا النظام الأخير استعمال الاختبارات ووصف نواحى الشخصية ، والتوجيه المهنى وأحلام اليقظة الموجهة ، كما تتضمن تحليل اللاشعور . وانتشارها لا يعدو السنوات الأولى من عصرنا . وقد أصبحت ممارسة هذا النظام فى حاجة اليوم إلى أن يعترف بها رسميا ، وأن ترسم لها مقاييس دقيقة أكيدة . كان الأمر يقتضى ألا يجعل العلاج النفسانى فرعا ضيقا من فروع التخصص الطبى ، وأن يقصى فى الوقت نفسه عن مزاولة المهنة غير الاخصائيين والمشعوذون والفاسدون من المجتمع . وقد قرر المؤتمر أن يقبل فى اتحاده الأطباء الحاصلين على مؤهلات فى العلاج النفسانى ، وأن يقبل أيضا بنسبة العشر أشخاصا ذوى ثقافة سيكلوجية فقط . وهكذا أصبح الفلاسفة والأطباء يلتقون فى ميدان واحد من غير أن يضحى أحدهم بما تخصص فيه من علم . وتستطيع الآن كل دولة أن تجعل من المهنة مهنة شرعية وأن تعلمها فى معاهد عالية ، وأن تعنى نفرا من أبنائها تخصصوا فى العلاج النفسانى . وتستطيع كل مدرسة أن تحصل قريبا على مستشار لها فى علم النفس التربوى ؛ وكل مصنع على إخصائى فى سيكلوجية العمل .

إن هذا التوحيد البديع لم يتجاوز الميدان الادارى . وكان الأستاذ يونج السويسرى

الألمانى يود أن يقيم الوحدة فى المذهب . فاقترح لذلك اعتناق أربع عشرة وجهة نظر مشتركة بين مختلف المدارس المهتمة بالعلاج النفسانى ، وبالأخص مدرسة فرويد ومدرسته هو نفسه . وتلك هى وجهات النظر الأربع عشرة التى نشرتها أعظم الصحف السيكلوجية فى العالم كله .

١ — الوسائل الطبيـــة Intervention médicale

إن العلاج النفسانى يسير بأسلوب طبى على اعتبار أنه من الطرق الطبية . وهو يهدف أول ما يهدف إلى تشخيص المرض . وفى سبيل ذلك يحاول أن يحمل المريض عـلى استرجاع ذكرياته . ومن سرد المريض للأحداث الماضيـة المتعلقة بمنشأ انحرافاته النفسية ، وكذلك من خـلال أعراض المرض ، يحاول العلاج النفسى أن يقرر طبيعة نوع المرض النفسى .

٢ — المنهج التكوينى Psychogénèse

إذا تقرر نوع المرض النفسى ، وضح للمعالج أن هناك أمراضا ليست ناتجة عن إصابات جسمانية ، ولا يمكن تفسيرها إلا فى دائرة الاختلالات النفسية .

٣ — التشخيص Diagnostic

لذلك لا يتجه اهتمام المعالج النفسانى بوساطة التشخيص ، إلى السبب العضوى فى المرض بل إلى التـكوين النفسى للشخصية المعتلة من غير إخلال بالعوامل الأخرى .

٤ — الاستكشاف Exploration

يعـبر الاستكشاف أهمية لمختلف وسائل التعبير عنـد الانسان : الـكلام ، والأفـكار الطارئة ، والخواطر ، والحلم ، وتباشير الأعراض ، وحالة الشخص العامة الخ ...

٥ — منشأ المرض Etiologie

أثنـــاء الاستكشاف العميق ، يتضح للمعالج أن منشأ المرض يرجع إلى عوامل دفينـة فى الأركان المجهولة من الشخصية ، وأنه يتجاوز حدود العقل .

٦ — اللاشعور L'inconscient

المركبة الغامضة فى الشخصية تدعى اللاشعور .

٧ — العـودة إلى الشعـور والتحليل Prise de conscience et analyse .

ان مهمـة العـلاج النفسانى أن يجلو الروابط الـلاشعورية التى ساعـدت على نشأة المرض والتى يمكنها الآن أن تنميه . ووسائله الآن هى التحليل والتفسير لمختلف أنواع التعبير .

٨ — التثبت Fixation

إن استكشـاف الأعمـاق يؤدى بـين ما يؤدى إليه إلى تثبت النضوج النفسى عند مراحل معينة ، وعند مواقف أو عنـد أشخاص فى سن الطفولة ، وهو ذو أهمية حيوية .

٩ — معنى التثبت Signification de la fixation

تبدو مظـاهر التثبت من ناحية كأنها الأسباب الفاعلة للحـالات المرضية اللاحقة ، ومن ناحية أخرى كأنها الأسباب الغائية ، وذلك بما تثير من أعمال معينة تحكم مصير حيـاة الفرد وسلوكه التـالى . ومن ضمن الأسباب المادية نذكر الغرائز ونموها ، كما

أن الرموز تعتبر من الأسباب التشكيلية . وقد يكون للتثبت فى أول الأمر فعل مرضى ، أو قد يحرك ويثار من جديد بقوة يبدو معها أنه سبب فعال من غير أن يكون فى الواقع سببا فعالا .

١٠ — العلاقة بين الطبيب والمريض .

إن طريقة العلاج النفسانى تقوم على أساس العلاقات التى تربط الطبيب بالمريض . إن المواجهات الشخصية التى تؤدى إليها تعتبر أساساً للتكيف مع المجتمع وللمواجهات التى يتطلبها هذا التكيف .

١١ — نقل Transfert

إن العلاقات القائمة بين الطبيب والمريض قد تتخذ أثناء العلاج الشكل الخاص للنقل الذى يكون إسقاطاً من محتويات اللاشعور .

١٢ — التخفيف التحليلى La réduction analytique

إن تخفيف النقل يكشف عن نيات النقل البعيدة فى تاريخ المريض وفى تثبتاته أثناء الطفولة ، وبفضل هذا التخفيف والحذف تدخل تلك النيات فى منطقة اللاشعور .

١٣ — التوسع التأليفى Le développement synthétique

الطريقة التأليفية التى يعمل بها تحاول أن تدخل فى اللاشعور معنى المحتويات المسقطة فى النقل بفضل طريقة التضخيم والايضاح والتوسيع .

١٤ — العلاج Thérapie

يختلف منهج العلاج باختلاف حاجات الحالة العلمية الراهنة . ولا بد من اعتبار ما يأتى :

(١) النصائح العملية ، والوسائل الايحائية وأخيراً مجرد الاعتراف .

(٢) تأثير عامل أو أكثر من العوامل الجرحية (العضوية) .

(٣) فى حالات أخرى يلزم استعمال التخفيف والحذف فى بعض مواقف الابتداء عند الطفولة .

(٤) فى حالات أخرى لا بد من تحليل النقل وسلوك المريض العام وموقفه . فى الفقرتين الثالثة والرابعة لا غنى عن تحليل الاحلام .

(٥) إذا لم يظهر أى تحسن جوهرى بالرغم من تحسن التكيف والتوافق ، فمعنى ذلك أنه يحتم تجهيز محتويات النقل تجهيراً تأليفيا élaboration synthétique . كذلك فى بعض الحالات قد تكون الطريقة التأليفية من أول وهلة ممكنة ومجدية .

والجدال الذى احتدم يعد ذلك بين الدكتور ريس من لندن والاستاذ يونج ، أظهر مقدار الهوة التى تفصل بين النزعة التجريبية empirisme الانجلوسكسونية ، والنزعة التعيينية الألمانية dogmatisme فالأولى تهتم بالنتيجة وتترك لكل طبيب نفسانى طريقته الشخصية . أما الثانية فهى تناهض الفردية وتتشبث بالعلم الصحيح وتحاول أن تمجد القوة . الدكتور ريس رجل واقعى لايهتم كثيراً بالنظريات . فقد نظم أثناء الحرب العيادات النفسانية فى الجيش البريطانى ، مرسلا الجنود إلى الميدان أو إلى الخلف حسب الطباع الدفينة عند كل منهم . وقد قوى بذلك الروح المعنوية وحسن الانتاج . أما يونج فهو بالعكس مرتاح فى مكتبه منفرد بمريضه . إنه رجل

المشاكل الداخلية والعلاقات الشخصية والصداقة .

وقد أدلى الدكتور لا فورج ممثل فرنسا بمبدأين وسطين وهما (١) أن التسامح أمر ضرورى للعلاج النفسانى الذى يجب بطبيعته أن يقضى على اليقينية والتشيعية، فهما من الأمراض الجمعيه التى تصحب عصور الانتقال . (٢) وأن العلاج النفسانى فى تقدم عظيم ؛ وهو باعتباره علم الحركة (الديناميكا) بالنسبة للفرد ، ليس فى الامكان التعبير عنه بعبارات الاستقرار (الاستاتيكا) كما لا يمكنه أن يثبت عند حد بصورة دائمة .

وآخر الأمر قبلت النقط الأربع عشرة كمبادئ بعد أن احتفظ كل واحد من أعضاء المؤتمر لنفسه « بحق التعبير عنها بالصيغة التى يراها أكثر ملاءمة لحاجاته الخاصة » .

أندريه مالرو فيلسوف الجولية غير الرسمى

فى نوفمبر من سنة ١٩٤٦ وهو الشهر الذى عقدت فيها الهيئة الثقافية للأمم المتحدة جلساتها ، ألقى المسيو مالرو محاضرة كانت أول محاضرة له منذ الحرب . وكان موضوع محاضرته الثقافة ، وقد جمع فيها أهم موضوعات قصته الأخيرة « الصراع مع الملك » *La lutte avec l'ange* التى ما زال الجزء الأكبر من الجمهور يجهلها لقلة الأعداد التى أصدرتها لها الطبعة السويسرية .

إن المبدأ الأساسى الذى يأخذ به المسيو مالرو هو أن الانسان يعرف بذاته لا بعمله ، ويذهب به ذلك إلى إنشاء فلسفة للاشعور . إن قصص مالرو تتتبع مراحل حياته : الثورة الصينية فى سنة ١٩٢٧ ، والثورة الألمانية فى ١٩٣٣ ، والثورة الأسبانية فى ١٩٣٦ وأخيرا تنظيم المقاومة فى فرنسا أثناء الاحتلال . وقد قاتل مسيو مالرو فى كل من تلك الحركات إلى جانب الشيوعيين . ولكنه لم يكن معهم كما ظن بعضهم . لذلك كان انضمامه إلى الجنرال ديجول بصفته أمين سره مفاجأة للجميع ، حتى إنه يتولى يوما وزارة الاستعلامات ، وصادف نجاحا لا يستهان به فى الانتخابات الفرنسية الأخيرة .

إن فلسفة أندريه مالرو تساعد على إيضاح معنى الجولية . وأول فكرة عزيزة على مالرو هى فكرة الحضارة . فهو يرى أن المؤرخ مهما بحث فى أبعد عصور التاريخ ، وأقدمها ، لا يجد إلا جماعات لا أفراداً منعزلة . والتاريخ البشرى هو تاريخ الحضارات . فالحضارة هى أسلوب من أساليب الحياة ، قد يعبر عنه بمنشآت فنية وآثار كما قد يعبر عنه بنظام سياسى . وهى تولد وتموت . هناك إذن حضارات زائلة (ميتة) كحضارات الشرق التى قضى عليها الاسراف فى تأمل الطبيعة وانعدام الشخصية ، وقد تسلمها من الشرق ثوار الغرب . والجولية على هذا الاعتبار أبعد من أن تكون حزبا محافظا ، بل هى حركة من تلك الحركات التى تنشئ « الامبراطوريات العظمى » . إنها حزب الامبراطورية الفرنسية ؛ إن بها ما يشبه تقديس الملاحم التاريخية وتقديس الرجل العظيم وتقديس الازدهار الفنى .

والفكرة الثانية هى فكرة الحضارة الأوربية . إذا كانت الحضارة نظاما مكونا من قيم مبتكرة ، فالغرب قد شهد مولد حضارتين : الحضارة الأمريكية والحضارة الروسية ، كما شهد زوال حضارة ثالثة هى الحضارة الأوربية . فالولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى وهما فى أشد تقدمهما الاقتصادى ، انتزعا من أوربا إيمانها العقلى البحت فى رقى مستمر للعلم ورقى مقابل له من الضمير . غير أن أوربا لم تستنفد كل قوتها فى خلق القيم ، وسينتج عن الانتعاش الراهن حضارة جديدة . إن ذلك الايمان بالعقل ليس هو خير ما فى التراث الأوربى ، إن خير ما فيه هو الانشاء المتصل لقيم عا . إن الصفة الأوربية الحقة هى الارادة فى شعور والارادة فى الاستكشاف ، وتـ يل الناحية السيكلوجية على المنطق ، وتـ الثورة على كل أسلوب من أساليب إحـ يأتى من الخارج .

لك فى أن تلك القيم تعنى نقطة ابتداء، ولا تطيع أن تتكهن بما ستكون عليه نقطة الوصول للحضارة التى ترسم خططها . إن علة عظمة أوربا بل مأساتها نفسها ، هى أنها تقبل ما هو مجهول ، وتنصب نفسها لحماية الانسان . من هنا كانت الجولية مرتبطة بفكرة الكتلة الغربية ، وهى القوة الثالثة بين الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة . وهى على نقيض الماركسية ذات صبغة صوفية وليست نظرية اقتصادية . إنها تدين برأى هيجل .

وآخر فكرة هامة لمالرو هى فكرة الانسان . إن هناك شرطا أوليا لا بد منه للرد على هذا السؤال : ما هو الانسان ؟ إن كلا من علم الأمم والتحليل النفسانى والأدب والتصوير ، يسائل ذلك السؤال . لقد مات الانسان القديم . ولا بد من ترك الثقافة التقليدية ، وإعداد بناء هذا الأوربى الحديث الذى يعتبر آخر تحول ظهر فى البقاء الانسانى . ليس الانسان الجديد ملكا أو قديسا وإنما هو بطل . إنه يصارع العالم الخارجى الذى يريد أن يجعله أشد إنسانية ، وذلك بفضل الانتاج الفنى أكثر منه بفضل الأداة الصناعية . وهو يصارع أحيانا «الملك» الذى يسر إليه أنه خالد لن يموت ويشير عليه أن يتكئ على هذه الفكرة .

تعد الماركسية البشر السعادة . ولكن هل يريد البشر السعادة ؟ أما الجولية فهى تعرض عليهم العظمة ، إنها نوع من الجمال وليست نوعا من الأخلاق . إنها تعتبر ناحية العظمة خير ما فى كل فرد منا ، وهى تحاول أن تستثير خير ما فى الانسان . ومن هنا يدرك معنى عبارة الجنرال ديجول : « تمهيد الطريق من أعلى » خلق الانسان إذن ليلزم نفسه ويلزم الآخرين بأن يقيموا دائما فى « طريق الذرا » .

خاتمة

هل الحضارة الصناعية هى الحضارة الحقة أم لا؟ هل التاريخ متروك أمره للمصادفات؟ وهل هو خاضع لقوانين الاقتصاد السياسى ؟ وهل كان إنسان الأمس يختلف كل الاختلاف عنا ؟ ماذا سيكون إنسان الغد ؟ ذلك هو السؤال الذى يسأله فى كل أنحاء أوربا أعضاء المؤتمرات والمحاضرون . وربما اتجهت الردود المختلفة

التى أجاب بها على السؤال نفسه الأب تيلار دى شاردان ومرلو بونتى وكوهين سيا ومالرو وكامو وعلماء التحليل النفسانى ، اتجاها واحدا حيث تلتقى . وربما كان ذلك إيدانا بمولد إنسانية جديدة . إن فرنسا على جهلها التام بالحضارات الأجنبية مازالت تعتقد أنها مركز تلك الانسانية .

دجميه أنزيو

نقلها عن الفرنسية إلياس نعمان حكيم